

النشاط الإصلاحى والثقافى للشيخ

محمد الطاهر التليلى الجزائرى

The reformist and cultural activities of Sheikh Muhammad al-Tahir al-Talili al-Jazairi



د.زيد مليكة *

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادى

malikazid@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2026/02/06 تاريخ القبول 2026/05/24 تاريخ النشر 2026/06/08



ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة أحد أبرز أعلام الإصلاح فى منطقة وادى سوف ، الذى جمع بين النشاط الإصلاحى والثقافى والدعوى وأسهم فى ترسيخ الهوية العربية الإسلامية ، متبعا فى ذلك المنهج الوصفى والتاريخى لرصد المسار الإصلاحى والثقافى للشيخ من خلال تتبع إسهاماته ومبادراته فى مجالات الإصلاح والتعليم والتوجيه المجتمعى ، وخلصت النتائج إلى أن الشيخ لم يكن خطيبا أو فقيها فحسب بل كان رائدا من رواد الإصلاح الثقافى والدينى فى الجزائر عموما ومدينة وادى سوف على وجه الخصوص، إذ جمع بين الدفاع عن العقيدة واللغة و مواجهة الاستعمار فكرى وثقافى و بين التمسك بالثوابت والانفتاح على مستجدات العصر .

الكلمات المفتاحية: النشاط الإصلاحى ، النشاط الثقافى ، محمد الطاهر التليلى .

* المؤلف المراسل

Abstract:

This research aims to study one of the most prominent figures of reform in the Wadi Souf region, who combined reformist, cultural and advocacy activity and contributed to consolidating the Arab Islamic identity, following the descriptive and historical method to monitor the reformist and cultural path of the Sheikh by tracking his contributions and initiatives in the fields of reform, education and community guidance. The results concluded that the Sheikh was not only a preacher or a jurist, but he was a pioneer of cultural and religious reform in Algeria in general and the city of Wadi Souf in particular, as he combined defending the faith and language and confronting colonialism intellectually and culturally with adhering to the constants and being open to the developments of the age.

key words: Reformist activity. Cultural activity. Sheikh Muhammad al-Tahir al-Talili

مقدمة:

يُعد النشاط الإصلاحي والثقافي في الجزائر من الركائز الأساسية التي ساهمت في بناء الوعي الديني والحضاري خلال مرحلتي الاستعمار وما بعد الاستقلال، حيث شكل هذا النشاط استجابة واعية للتحديات الثقافية والسياسية، وساهم في ترسيخ الهوية الإسلامية وتعزيز قيم الانتماء والمقاومة والبناء، وقد شهدت مدينة وادي عبر تاريخها حركات إصلاحية متعددة تجلّت في شخصيات رائدة حملت لواء التجديد الديني والإصلاحي والاجتماعي فأنبثت ثمارها بفضل جهود شيوخها وعلمائها خريجي جامع الأزهر بمصر وخريجي جامع الزيتونة بتونس الذين تلقوا العلوم الشرعية والأدبية من علمائها، والذين جمعوا بين الأصالة والاجتهاد فشهدت انتعاشاً فكرياً لبزوغ بذرة التعليم والإصلاح.

وقد أسهم هؤلاء في ترسيخ قيم العلم والعمل وفتحوا آفاقاً للتربية والإصلاح فأصبحت وادي سوف منارة للإصلاح في الجنوب الشرقي الجزائري ومركزاً نابضاً بالحراك الفكري والتربوي، أبرزهم ما نأمل أن يسعفنا دراسة نشاطه وجهوده الفكرية والإصلاحية "

الشيخ محمد الطاهر التليلي" عليه رحمة الله، والذي حظي بثناء عدد من العلماء كالشيخ عبد الحميد بن باديس، و الدكتور الكبير أبو قاسم سعد الله عليه رحمة.

وهو ما سنسبّلط عليه الضوء في هذه الورقة البحثية المتواضعة، إذ نفتح من خلالها نافذة مضيئة على شخصية الشيخ التليلي أحد الوجوه الإصلاحية التي لم تنل حظّها الكافي من الدراسة والتوثيق رغم ما قدمه من إسهامات علمية وتربوية وثقافية يستحق الوقوف عنها والتأمل في مسيرتها، ومن باب الوفاء العلمي والاعتراف بالفضل كان من حقّ الشيخ التليلي علينا أن نقف عند محطات حياته توثيقا لما قدّمه من إنجازات وإسهامات، لاسيما وقد عايش مرحلتين في تاريخ الجزائر مرحلة الاستعمار وما رافقها من تحديات، ومرحلة الاستقلال وما تطلبت من جهود بناء وإصلاح.

لذا تنبع أهمية هذا البحث من كونه يسعى إلى تسليط الضوء على إحدى الشخصيات الإصلاحية والثقافية التي أسهمت في تشكيل الوعي المحلي في الجنوب الشرقي الجزائري الذي ظلّ حضوره في الكتابات الأكاديمية محدودا رغم أثره البارز في مجالات الدعوة والإصلاح والتعليم والتأطير المجتمعي.

كما يكتسب أهمية البحث في كونه عبارة على محاولة توثيقية وتحليلية لإرث إصلاحي يعكس محاولات وتفاعل العلماء مع التحولات التاريخية والاجتماعية خاصة في سياق الانتقال من مرحلتى الاستعمار إلى مرحلة البناء.

ونظراً لعمق الموضوع وأهميته التاريخية عمدت هذه الورقة البحثية لتحقيق الأغراض الآتية :

✓ رصد المسار الإصلاحي والثقافي للشيخ محمد الطاهر التليلي من خلال تتبع

إسهاماته ومبادراته في مجالات الدعوة والتعليم والتوجيه المجتمعي

✓ إبراز الجوانب الإصلاحية في فكر الشيخ التليلي وأبرز ممارساته.

✓ توثيق إسهامات الشيخ الفكرية والتعليمية والتربوية سواء عبر المؤسسات التي

شارك في تأسيسها أو من خلال نشاطه الميداني في المساجد والمدارس

إبراز دوره في مقاومة مظاهر الانحراف والتغريب الثقافي وتأكيد التزامه بالمرجعية الإسلامية في معالجة قضايا المجتمع .

✓ تحليل مساهماته الثقافية والإصلاحية في ضوء التحديات التي واجهها المجتمع الجزائري

✓ حيوية الموضوع ومحدودية الدراسات الأكاديمية التي تناولت شخصيات إصلاحية بمنطقة وادي سوف بصفة عامة ومن صنعوا الأحداث بصفة خاصة .

✓ أهمية هذه الشخصية ونشاطه المزدوج ما بين منطقتي قمار وبجاية والمكانة العلمية التي تميّز بها ..

✓ المساهمة في رد الاعتبار لأبرز رموز وادي سوف مغفلة في الدراسات المعاصرة وفتح المجال أمام دراسة مستقبلية تعنى بالتاريخ الإصلاحي في الجنوب الشرقي الجزائري عموما ووادي سوف على وجه التحديد .

مستخدما في ذلك المنهج الوصفي في عرض نشاطاته و مساهماته في بناء الوعي الديني والثقافي ، والمنهج التاريخي التحليلي من خلال تتبع سيرة الشيخ عبر فترتي الاستعمار والاستقلال كما يركز على الوقائع والمراحل التي مر بها نشاطه الإصلاحي.

وانطلاقا من تعدد جوانب النشاط الإصلاحي والثقافي في جهود الشيخ فإن البحث يقتضي البدء بالحديث عن مولده ونشأته باعتباره مدخلا أساسا لمعرفة تكوينه العلمي والاجتماعي ثم الانتقال لتحليل مساراته الإصلاحية والثقافية، انطلاقا من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية :

➤ ماهي أبرز ملامح النشاط الإصلاحي والثقافي للشيخ محمد الطاهر التليلي ؟

➤ من هو الشيخ محمد الطاهر التليلي عليه رحمة الله ؟

➤ ماهي الدواعي التي جعلت الشيخ محمد الطاهر التليلي يلتحق بجامعة الزيتونة

بتونس ؟

➤ فيم تمثّل الدور الإصلاحي والثقافي للشيخ محمد الطاهر التليلي ؟

➤ كيف ساهمت جهوده في ترسيخ القيم الإسلامية وتعزيز الوعي ؟

المبحث الأول : نشأة الشيخ محمد الطاهر التليلي وتعليمه

المطلب الأول : مولده ونشأته

تكوّن على إثر جمعية العلماء المسلمين عدد كبير من الرجال المخلصين الذين قدّموا تضحيات جسام وبذلوا جهودا من أجل إصلاح أحوال الشعب الجزائري العقديّة والعلمية والدينية حفاظا على مقومات هويته اللغة العربية والدين ، ومن أبرز هؤلاء الرجال مَن أثاروا قلق الاستعمار بنشاطهم و حركيتهم في كامل ربوع الوطن، وكانت مدينة وادي سوف حاضرة برجالها في ميدان المعركة الإصلاحيّة التي باشرت بها جمعية العلماء المسلمين ،و كان أبرزهم الشيخ محمّد الطاهر التليلي عليه رحمة الله ،الذي قاد الحركة الإصلاحيّة بالمنطقة وتخرّج على يديه جمع من الشباب المتعلم ، فمن هو الشيخ محمد الطاهر التليلي ؟

يُعد الشيخ محمد الطاهر التليلي من أبرز أعلام الإصلاح في الجنوب الشرقي الجزائري خلال القرن العشرين، وقد تميّز بمسيرة علمية حافلة منذ نعومة أظافره في بيئة دينية محافظة وامتدت لتشمل مجالات الفقه ،و الأدب والتعليم ، إن دراسة نشأته ومراحل تكوينه تتيح فهما عميقا لمنطلقاته الفكرية ومقومات شخصيته الإصلاحيّة ،فهو محمد الطاهر بن بلقاسم بن الأخضر بن عمر بن أحمد بن قاسم بن أحمد التليلي ولد يوم الخميس السادس من شهر ذي الحجة عام 1328هـ الموافق للثامن من شهر ديسمبر سنة 1910م بدائرة قمار إحدى بلديات وادي سوف¹ تنحدر أسرته من أولاد سيدي تليل من بلدة فريانة بالقطر التونسي، وهي أسرة غرقت بالدين والمحافظّة على القيم الإسلامية ممّا وفّر له بيئة تربوية مثالية لتلقي العلوم الشرعية والثقافية .

نشأ الشيخ التليلي عليه رحمة الله في كنف جدّه على تعليمه القرآن الكريم وإجادة الذي تولى تعليمه وحفظه القرآن الكريم وهو في سنّ مبكرة، تلقى مبادئ العلوم الشرعية واللّغوية، كما انخرط في حلقات العلم وتلقى الدروس الأولية في الشريعة واللغة والأدب في جامع سيدي إبراهيم في مدينة قمار الشرقية، فتتلمذ على بعض شيوخها في القراءات والمتون وحضور دروسهم كان يلقيها بعض علماء المنطقة و أدباءها أمثال أحمد بن حمّ الأخضر و الأخضر بن عمر بن ميدة، الطيّب بن الحاج علي بن الزّاء، محمّد بن البريّة الزُّبيري، محمّد اللّقاني بن السّائح و محمّد العزّوزي بن الصّادق الحّوحو، و أحمد بن محمّد القّا، عمّار بن عبد الله بن الأزعر².

وهذا الأخير - الشيخ عمار بن الحاج عبد الله الأزعر - قال في الشيخ التليلي : (قال شيخنا في ترجمته لنفسه: والفضل الأكبر في تأديبي وتنقيفي وتربيّتي التّربية الإصلاحيّة الدّينيّة الوطنيّة يرجع إلى الشّيخ عمّار بن الحاج عبد الله الأزعر، فهو الَّذي نشر الإصلاح والدّين الصّحيح في الأوساط الصّحراويّة بسوف، وعلى الأخصّ بقمار، وتخرّج عليه الكثير من طلبة قمار، علماً وأدباً وإصلاحاً وخلقاً؛ فكان حامل لواء الجهاد العلمي والإصلاحي في سوف، وكُنّا جنوداً له ومن ورائه، وكان شديد الوطأة على المبتدعين والطّرفيّين والقبوريّين ومن لفّ لفّهم وجرى خلفهم، وبذلك الشّدّة، و هاتيك الوطأة، ترك أثراً إصلاحيّاً في قمار، لا يمكن أن يُمحى منها مهما طالّت السّنون وتعاقبت الأجيال، وكانت قبلة قمار وعامّة فُرى سوف عشّ البدع والضّلالات ووكر الطّرقية الضّالة المضلّة، فكان الصّراع في قرية قمار بين الحقّ والباطل والإفساد طويلاً ومستمرّاً...)³.

فقد ساهم هذا التكوين في ترسيخ ملكاته العلمية وأهله للانخراط في مسارات التعليم والإصلاح، وإن هذه النشأة العلمية الممزوجة بروح التدين والانضباط كانت الأساس الذي انطلقت منه شخصية الشيخ التليلي ليصبح نموذجاً في الجمع بين الأصالة والاجتهاد وبين التكوين والانفتاح على قضايا الأمة .

المطلب الثاني : تعليمه وتكوينه

يُعدّ التعليم أحد الركائز الأساسية التي شكّلت شخصية الشيخ محمد الطاهر التليلي، وأسهمت في بلورة مشروعه الإصلاحي والثقافي، حيث كان للكتاتيب والمساجد الدور المحوري في تلقين العلوم الشرعية واللغوية قبل أن ينتقل إلى أكثر تخصصا في طلب العلم داخل وخارج منطقته .

فبدأ الشيخ تعليمه بحفظ القرآن الكريم في سنٍّ مبكرة على يد جدّه وأهل العلم في مدينة قمار ، ثم انتقل بحلقات التدريس في جامع سيدي إبراهيم، حيث تلقى مبادئ الفقه المالكي والنحو والبلاغة والمنطق على الطريقة التقليدية التي كانت سائدة في المدارس القرآنية آنذاك ،وقد أظهر نبوغا مبكرا في الاستيعاب والتحصيل ممّا أهّله للانتقال إلى مستويات أعلى من التعليم ، انتقل الشيخ التليلي بعد حفظه للقرآن الكريم ببلدته إلى جامع الزيتونة بتونس في 05 ربيع الثاني 1346 هـ الموافق لـ 01 أكتوبر 1927م، فتنفّس للتّحصيل والدراسة مدّة سبع سنوات توجّها بشهادة التطويع سنة 1934م⁴ ولم يتجاوز عمره 17 سنة، وهناك تتلمذ وتعلّم على يد نخبة من علماء الزيتونة محمد العربي الدرعي.. إبراهيم النيفر، عثمان بن المكي التّوزري ، محمد البشير النيفر. محمد العزيز النيفر، محمود بن قاسم ساكيس، محمد الزغواني، معاوية التّميمي. محمد الصّادق الشّطيّ حسن بن يوسف. عثمان بن الخوجة. الطّاهر بن عاشور. محمد بن يوسف. علي بن الخوجة الأصهب.⁵

فتوسّعت مداركه العلمية وساعده في أداء دوره كمدرس ومصلح حيث أسس حلقات تعليمية وأشرف على تكوين أجيال من الطلبة وشارك في إثراء الحياة الثقافية والدّينية في مدينته وادي سوف ، وقد علق الدكتور أبو القاسم سعد الله في مقدّمات تحقيقاته لمؤلفات التليلي - فهو يرى فيه شخصية شغوفة بالتأليف على الرغم من البساطة التي كان يحياها - فقال : (وكنت كلّما زرتّه وجدته في خلوة بنظارته العتيقة التي لم يغيّرّها

منذ سنوات، يفترش بساطا عاديا وحوله بعض الكتب والكراريس المتناثرة، وأدوات الكتابة من أقلام قصبية وأخرى رصاصية أو جافة وحبيرة من السمق، وليس هناك منضدة ولا كرسي، ولا أدوات الكتابة من راقنة وحاسبة وأوراق صقيلة وأقلام سيّالة، فالشيخ لا يكتب إلّا جالسا على البساط أو الرمل ولا يسوّد إلّا في زمام من النوع القديم، ولا يكاد يحبر إلّا بقلم القصب وحبر السمق، ومع ذلك فيده لا تكاد تتوقف عن الكتابة فهو مؤلف ونسّاح، والنساخة مهنة ورثها عن أجداده⁶.

المبحث الثاني : الجهود الإصلاحية والثقافية للشيخ محمد الطاهر التليلي

يُعدّ النشاط الإصلاحي والثقافي أحد أبرز المحاور التي ساهمت في تشكيل الوعي في المجتمع الجزائري خاصة في فترات الاستعمار وما بعده من تحولات سياسية واجتماعية ، وقد احتضنت مدينة الوادي الحركة الإصلاحية منذ إرهاباتها الأولى في الربع الأول من القرن العشرين تجسّدت عملياً في جمعية العلماء المسلمين 1931 من أهدافها الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية والمقومات الحضارية للشخصية الجزائرية عبر مواجهتها للخطط الاستعمارية الفرنسية فيعود تبنيها لشعارات الجمعية لأسباب أهمها :

➤ تأثرهم بالحملات الاستعمارية الشرسة ضد مقومات الأمة الحضارية والدينية والتاريخية .

➤ حرص المنطقة على توجيه أبنائها نحو الزوايا والمساجد لتعليمهم القرآن الكريم ودعمهم للترحال إلى المدن التونسية لتعليم العلوم الإسلامية والشرعية والأدبية

➤ انتشار المدارس الاستعمارية لتعليم اللّغة الفرنسية وجعلها لغة أصلية وتشجيع اللهجات العامية بغية القضاء على اللغة العربية .

هذه المدينة أثنى الإمام بن باديس أهلها قائلا : (كانوا أرقى أفئدة وأصفى عقولا وأمتن دينا وأسرع إجابة للحق والخير) وأضاف قائلا : (لما ارتفعت دعوة

الإصلاح بالجزائر كان في طليعة رجالها نبهاء من أبناء وادي سوف المثقفين وعلمائها المستنيرين⁷.

فقد استحقوا هذا الثناء عندما رأى الشيخ تصدر مدينة وادي سوف في مواكبتها للنهضة العلمية والإصلاحية بفضل رجالاتها الأوفياء كالشيخ عمار بالأزعر الذي كان ممن حضروا الاجتماع التأسيسي للجمعية بنادي الترقى، و قد أعطى دفعا علميًا وإصلاحيا قويا بالمنطقة، فكون جيلا حملوا لواء الإصلاح في المنطقة على يديه من بينهم الشيخ التليلي عليه رحمة الله، وهو من الشخصيات التي تركت بصمة واضحة في هذا المجال وهو الذي جمع بين العمل الدعوي والإصلاح التربوي والنشاط الثقافي الموجه نحو بناء الإنسان والمجتمع

المطلب الأول : اهتمامه بالتعليم القرآني

كان الشيخ التليلي من المهتمين في التعليم القرآني حتى اعتبره البعض رجل القرآن الماهر به حفظا وتدبُّرا وتفسيراً، فقد ترعرع على ذلك منذ نعومة أظافره سواء على يد جده أو في كتاتيب قمار أو بعد تقاعده حيث لزم بيته وتفرغ لتلاوة القرآن الكريم⁸.

فاتخذ الشيخ التليلي مثل باقي شيوخ المنطقة من التعليم القرآني أولى اهتماماته كون أن التعليم القرآني وسيلة من وسائل التعليم ومادة من مواد الإصلاح الأولى آنذاك، فانخرط عبر تأسيس حلقات لتحفيظ القرآن الكريم في جامع سيدي إبراهيم بمدينة قمار، وقد اعتمد الطريقة التقليدية في التلقين، ومرتكزا على تعليم الطلبة كيفية فهم الخطاب القرآني واستنباط المعاني وربطها بالواقع الاجتماعي⁹.

كما أن الشيخ لم يقتصر في التعليم القرآني فحسب، بل توسع ليشمل علوم القرآن خاصة التفسير والبلاغة، وكان يدرس مفاهيم مثل السياق القرآني، وأسباب النزول والربط بين الآيات مما يدل على أن منهجيته تعليمية متقدمة.

وما تميّز به الشيخ في التعليم القرآني أنّه كان ملفتاً للانتباه وطريقته كانت سلسلة جذبت نحوه الطلبة فقد أعطاه الله من النباهة وسعة صدر والفطنة وحضور البديهة ما يجعله قادراً على تنشئتهم حتّى يكون جيلاً متفتحاً لأنّ الاستعمار من أهدافه جعل الأمة تعيش حالة من الضياع واليأس راضية به مستسلمة له ، ليكون أكبر حدث في مهمّة الشيخ التليلي هو تأليف نظم في تفسيره للقرآن الكريم أبرزها ما جاءت في كتابه في غريب القرآن ، والذي اختار نظمه حسب ترتيب حروف المعجم وهو من أصعب النظم التعليمية وأندرهما بين الناظمين ¹⁰ والتي من أسباب تأليفه لتيسير ذلك على الطلبة فهما وتدريسا وتديراً ، فتعود أهمية هذه النظم في القرآن الكريم من خلال المساهمة في تيسير القرآن الكريم ضبطاً و فهما وذلك من خلال الإمام بموضوعاتها ومسائلها وجمعها في منظومات خالية من التعقيد والتنوع في خدمة القرآن الكريم من خلال التأليف والمنظومات .

المطلب الثاني : تأسيسه لمدرسة النجاح

بعد حفظ الشيخ للقرآن الكريم في أحد مساجد قمار ، و تتلمذه على بعض شيوخها في القراءات والمتون وحضوره دروس العلم التي كان يلقيها بعض المشايخ من دعاة الإصلاح أمثال الشيخ عمار بن الأزعر، توجّه بعدها سنة 1927م إلى محاضن جامع الزيتونة العلمية والتعليمية فظلّ بها إلى أن تحصّل على شهادة التطويع ¹¹ بعد سبع سنوات من الدراسة المتوالية ، وهذه الشهادة تؤهّل صاحبها للتعليم في المدارس الحرّة للتعليم سيما التعليم القرآني.

رجع الشيخ التليلي من تونس إلى بلدته قمار سنة 1934م، بعد أن تشبع بالعلوم الشرعية و الأدبية العقلية و النقلية، وجد نفسه أمام تحديات عملية ووظيفية خصوصاً بعد الزواج ، و كان لم يجد عملاً يستزق منه، و عليه أن يعول عائلته ،وقد ضاق به الحال فاشتغل في الفلاحة و التجارة، فلم يفلح في كلاهما ، ليتصل بالشيخ عبد الحميد

بن باديس عليه رحمة الله مؤسس جمعية العلماء المسلمين التي أخذت على عاتقها مهمة التعليم والدعوة والإرشاد والإصلاح والتنوير لمجتمع طمست مقوماته وفسدت عقيدته وسلبت منه قيمه ، فكانت تستعين بجريجي الزيتونة ، وكان الشيخ التليلي أحدهم لينضمَّ إلى النخبة الإصلاحية فعَيَّنَتْه الجمعية معلِّمًا في إحدى قرى مدينة بجاية تسمى كمبيطة، فلما وصلها كان أوَّل درس حضره أهل القرية بدأ بتفسير سورة فاتحة الكتاب، فلم يكتف بالتدريس بل كان يعلم أبنائها القصائد والشعر والإنشاد ، ويحثهم فيا على المعالي وعلى طلب العلم وإجلال العلماء ¹²، ولكن السلطات الفرنسية طردته بدعوى عدم امتلاك رخصة رسمية للتعليم ، وشعورها بخطورة تواجده مما يقدمه للشباب من مواعظ ودروس كان الغرض منها بثّ الوعي الديني والروح الوطنية فيهم ، ليعود الشيخ إلى بلدته قمار، وبقي حبيس الفقر والبطالة، وحبيس التضيق الإداري الفرنسي باعتباره من تيار الإصلاح الديني ، إلا أن أهل بلدته قمار طلبوا منه أن يؤسس مدرسة لتعليم أبنائهم سميت بمدرسة النجاح الحرّة التي بقي يديرها بنفسه ويعلم فيها إلى غاية الاستقلال عام 1962م، ¹³ حينها عرف الشيخ من زمرة من ساهموا في تشييد مدرسة النجاح حيث شارك في وضع أسسها دعما للتعليم وتكريسا لقيم الإصلاح ، إذ كان يجمع التبرعات والاشتراكات بمعية كل من الشيخ أحمد ترعة و الشيخ أحمد بن عثمان من أهالي المنطقة. ¹⁴

وبفضل جهوده وفكره السديد تمكّن من تخرج عدد كبير من الطلبة، من هؤلاء من ينتمون إلى مختلف شرائح المجتمع بمن فيهم شريحة السلطة المحلية، والطرق الصوفية، وقد غدوا من طلائع النخبة الجزائرية في مجالات العلم والإدارة والسياسة وكذا الاقتصاد والأدب ، ¹⁵ حيث أسهموا في بناء مؤسسات الوطن وتقلدوا مواقع القيادة وكان لهم دور بارز في صياغة الوعي الوطني وتوجيه مسارات التنمية .

لذا يمكن القول بأنّ المنهج التعليمي للشيخ قد مر بعدة مراحل وهي كالآتي :

1. حفظ القرآن الكريم كاملا.
 2. دراسة المتون الفقهية مثل الرسالة ومختصر خليل.
 3. التوسع في علوم اللغة، والمنطق، والتفسير.
 4. اعتمد على الشرح والتطبيق مع تشجيع الطلبة على المناقشة والاستفسار مما أضفى على المدرسة الطابع التفاعلي .
- ولعل من أهم الأهداف التي رسمها الشيخ التليلي من خلال نشاطه بالمدرسة هو :
- ✓ التكوين العلمي والمعرفي والديني للفرد المسلم الجزائري .
 - ✓ تشبع الشباب والناشئة بالقيم والفضائل الأخلاقية العالية والتي يعتبرها علماء الجمعية من ركائز الإصلاح .
 - ✓ ترسيخ فكرة تعلق الناشئة بالقرآن الكريم وحفظه والتزام أحكامه .
 - ✓ تعليم الفقه المالكي والنحو والبلاغة بأسلوب منهجي .
 - ✓ مواجهة مظاهر الجهل والبدع التي كانت منتشرة.
 - ✓ ترسيخ الهوية الإسلامية في مواجهة التغريب الثقافي .
- فشهد لهذه المدرسة الأثر البارز في المجتمع السوفي تتمثل في :
- تخرج منها عدد كبير من الفقهاء والدعاة والمعلمين الذين اسهموا في نشر العلم في مدينة وادي سوف.
 - أصبحت المدرسة نموذجا يحتذى به في التعليم الحر فساهمت في إحياء الحركة الإصلاحية في الجنوب الشرقي الجزائري.
 - ساعدت في ربط التعليم الديني بالواقع الاجتماعي من خلال خطب ودروسه ومشاركاته في الحياة العامة .
- وعلى إثر نشاطه التعليمي بالمدرسة ترك الشيخ التليلي ثروة علمية من المنظومات والمصنفات في علوم القرآن و الفقه و اللغة والتاريخ والأدب ، ففي علوم القرآن منظومة

المدخل إلى غريب القرآن¹⁶، ورسائل في رسم الألف في القرآن كما في المصحف ،
والتعليقات البيانية في منظومات رسائل قرآنية ، وقواعد البيان في الثابت والمحدوف في
القرآن على رواية ورش ¹⁷

و في الأدب زهرات لغوية من كتاب الألفاظ الكتابية للهمداني مجموع الأمثال العامة في
سوف ، و معجم الكلمات العامة الدارجة في الصحراء الجزائرية وفي الشعر الدموع
السوداء و النظم قصة الشيخ العجوز .. وغيرها كثير .¹⁸

المطلب الثالث : الوعظ والخطابة

تُعد الخطابة والوعظ من أبرز الوسائل التي استعان بها الشيخ التليلي في مشروعه
الإصلاحي ، حيث شكّلت منبرا لتوجيه ووعي المجتمع، و تثبيت القيم الإسلامية
ومواجهة الانحرافات العقدية ، فبعد عودة الشيخ التليلي من مدينة بجاية إلى مدينته قمار
في شهر مارس 1938م باشر بالخطابة والإمامة بالمسجد الكبير بعد أن وضع برنامجا
أسبوعيا لأهم دروسه وخطبه، خصص درسين لكل من التفسير والحديث والفقه، توليه
منصب الإمامة و الخطابة بالمسجد الكبير، وفيه رتّب رحمه الله برنامجا علميا تربوياً نافعا،
أين جعل دروس التفسير ليلة الأحد وليلة الاثنين، و دروس الأحاديث النبوية ليلة
الثلاثاء والأربعاء، و دروس الفقه ليلة الخميس والجمعة، وأما الخطب، فإنها تدور حول
التصفية والتربية أو كما عبّر عنها الشيخ رحمه الله: « التَّحْلِي والتَّحْلِي »، يعني التَّحْلِي
عن العادات الجاهلية والتَّحْلِي بالأخلاق المرضية، ومنهج التَّحْلِي والتَّحْلِي هو في الحقيقة
ما يعبر عن كلّ مواقف الشيخ الإصلاحية، واختار منظومة الشيخ خليفة بن حسن
القماري جواهر الإكليل نظم مختصر الشيخ خليل مقررًا للفقه أما خطبه الجمعة فإنها لا
تخرج عن التصفية والتربية .¹⁹

فتميّزت مواعظه وخطبه بالمرونة و اليسر ،و كان ينزل الناس منازلهم فيختار الموضوع
المناسب في الوقت المناسب، و كانت جلساته الوعظية متنوعة بين الوعظ والإرشاد

والنصح والإفتاء والتّرفيه من الشّعْر والنظم... فحظي بالمكانة و المنزلة المرموقة في بلدته وخارجها، فكان أكثر ما يدعوهم إلى التّمسك بالقيم الأخلاقية و المبادئ الدّينية و الوطنية السّامية و يدعوهم إلى الهداية و فعل الخير، و..²⁰

والملفت للنظر أنّ الشّيخ اكتسب مهارة الخطابة والوعظ المؤثّرين من تجاربه بالزّيّونة وأساليب علمائها وشيوخها الذين عاصروهم وتلمذ على أيديهم منهم الشّيخ "محمد الطّاهر بن عاشور"، والشّيخ "محمّد البشير النيفر"... وغيرهم .

من العوامل التي منحت خطاب الشيخ التليلي قوة و فاعلية و أضفت عليه قوة الإقناع و وضوح الرؤية توفّره على بعض السمات :

✓ تحليه بالصّدق و الإخلاص .
✓ الجمع بين قوة البيان و عمق الفكرة و استحضر الواقع مما جعلها تحظى بقبول واسع في أوساط الناس .

✓ وضوح الفكرة و قوة الحجة و ارتباطه بالواقع الاجتماعي و هو ما أكسبه تأثيرا واسعا

✓ أصالته الدينية و دفاعه عن اللغة العربية و العقيدة الصحيحة .
✓ تحليله للواقع و ربطه بالحفاظ على العقيدة الصّحيحة و التّمسك بالقيم الدّينية والوطنية والحفاظ على الهويّة الوطنية وترسيخها ونشر قيم التّسامح والتّعاون بين أبناء المنطقة حتّى لا تكون فجوة يتسرّب إليها العدو فنكون لقمة سائغة .

✓ تحفيز النّاس وتشجيعهم على التّمسك بدروس الوعظ والإرشاد ليكونوا على دراية بدينهم و عقيدتهم التي حاول الاستعمار تشويهها و مسحها و إحلال الدّياناات الغربية محلّها .

و قد استند الشيخ التليلي عليه رحمة الله في خطابه الوعظي منهج أهل السنة والجماعة مع تركيز خاص على تنقية العقيدة من البدع والخرافات ، فكان يحرص على ربط

النصوص الشرعية بالواقع الاجتماعى مع استحضار مقاصد الشريعة فى الإصلاح و التزكية²¹.

فساهمت خطبه فى :

- نشر الوهى الدينى الصحيح فى مدينة وادى سوف.
- تكوين جيل من الدعاة والخطباء الذين اقتبسوا منهجه.
- تعزيز الروح الإصلاحية فى مواجهة الاستعمار الثقافى والفكرى .
- كما تضمنت مواعظه موضوعات عدة أبرزها :
- التحذير من البدع والخرافات العقدية.
- الدعوة إلى مكارم الأخلاق كالصدق، والأمانة، والتسامح.
- الاهتمام بالأسرة والتربية وتوجيه الأداء نحو المسؤولية التربوية
- التحفيز على طلب العلم الشرعى ومقاومة الجهل والتقليد.

الخاتمة

اتضح فى نهاية هذا البحث أن :

- الشيخ محمد الطاهر التليلى لم يكن خطيبا أو فقيها بل كان رائدا من رواد الإصلاح الثقافى و الدينى فى الجزائر عموما ومدينة وادى سوف على وجه الخصوص ، حيث جمع بين التمسك بالثوابت والانفتاح على مستجدات العصر.
- أسهمت جهود الشيخ التليلى فى ترسيخ الوعي الدينى الصحيح ومقاومة البدع والخرافات كما عمل على إحياء اللغة العربية وتعزيز الهوية الإسلامية أما محاولات الطمس والتغريب.

➤ تجلّى نشاط الشيخ الإصلاحي في خطبه ودروسه ومشاركاته في الجمعيات والمدارس الدينية فضلا عن حضوره الفاعل في الحياة الثقافية من خلال التعليم القرآني والإرشاد والوعظ والتأليف وتكوين الأجيال الناشئة .

➤ تميزت رؤية الشيخ بالشمولية إذ لم يقتصر على الجانب الديني بل انفتح على قضايا المجتمع فدعا إلى التعليم ونبد الجهل وإصلاح الأسرة وتعزيز القيم الأخلاقية. كما أنّ دراسة جهود الشيخ الإصلاحية تبرز أهمية الإصلاحيين في بناء الوعي الجماعي ، وتؤكد أن الإصلاح الحقيقي يبدأ بالشعور الحي بقضايا الأمة ، والكلمة الصادقة والعمل الميداني المتجذر في واقع المجتمع .

الهوامش:

¹ - إبراهيم رحامي ، الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء ، مطبعة سخري ، الوادي ، ط1، 1432هـ، 2011م ، ص 15.

² - أبو القاسم سعد الله ، الجهود اللغوية للشيخ محمد الطاهر التليلي ، صيغة pdf ، د ، ت ، ص 41.

³ - محمد الطاهر التليلي ، هذه حياتي ، (ص13. 14/ مخطوط).

⁴ - خارج السرب مقالات وتأملات ، أبو القاسم سعد الله ، ص:161-162.

^{5 5} فؤاد بن أحمد عطا الله ، من أعلام الدعوة في الجزائر الشيخ محمد الطاهر التليلي رحمه الله ، مجلة الحوار المتوسطي ، مج 9، العدد3، 208م ، ص 141.

⁶ - غنية عباسي ، محمد الطاهر التليلي القماري.. جهود معتبرة في التربية والتعليم ، في 2022/11/07 10:09 <https://elmaghrebelawsat.dz/2022/11/07> ، تمت مشاهدته 2026/1/15، على الساعة 11:30.

⁷ جمال زواري أحمد ، مساهمة أعلام وادي سوف في تأسيس الصحافة الإصلاحية في الجزائر ، 1925-1940، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، العدد 09، ص 190. عبد الحميد بن باديس ، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، دار البعث ، فسنطينة ، 1991، ص 159.

⁸ رضا ميموني وآخر ، البعد التعليمي في مسيرة الشيخ محمد الطاهر التليلي ، مجلة المعيار ، العدد61، مج 25، 2021، ص 274

⁹ خضرة علي ، الخطاب القرآني عند الشيخ محمد الطاهر التليلي (1910-2003) المفهوم وآليات الفهم ، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية ، مج06، العدد01، 2023، ص

- 10 عبد القادر بقادر ، ألفية غريب القرآن لابن العالم محمد الزحلوي التواتي الجزائري ، دار المعتز للنشر والتوزيع ، عمان ، 2018، ص 58.
- 11 محمد الطاهر التليلي ، بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن الكريم ، تقديم أبو القاسم سعد الله ، دار الأمة ، الجزائر ، ط1، 1994، ص 08.
- 12 - عبد الفتاح بن عمر ، محمد الطاهر التليلي وجهوده الدعوية ، جامعة باتنة1 ، كلية العلوم الإسلامية ، 2023/2024، ص 34.
- 13 - الجهود اللغوية للشيخ محمد الطاهر التليلي، إصدارات مجلة العرب مركز حمد الجاسر الثقافي ، 2005، ص 3
- 14 - رضا ميموني وآخر ، البعد التعليمي في مسيرة الشيخ محمد الطاهر التليلي ، المرجع السابق ، ص 276.
- 15 - أبو القاسم سعد الله ، خارج السرب مقالات وتأملات ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2008، ص 159.
- 16 محمد السعيد مصطفى ، جهود الشيخ الطاهر التليلي السوفي في النظم القرآني ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، جامعة غرداية ، مج 12، العدد1، 2019، ص 94.
- 17 خضرة علي ، الخطاب القرآني عند الشيخ محمد الطاهر التليلي (1910-2003) المفهوم وآليات الفهم، المرجع السابق ، ص 315.
- 18 الجهود اللغوية للشيخ الطاهر التليلي ، أبو القاسم سعد الله ، مجلة اللغة العربية ، مج 7، العدد 1، 2005، ص 42
- 19 - المرجع نفسه ، ص 295.
- 20 - بتصرف : علي خضرة ، الشيخ الحسين حمادي السوفي ودوره في خدمة المذهب المالكي في جنوب سوف والجنوب التونسي ، مجلّة البحوث والدراسات العدد 20، 2015م، ص 229. ومحمد الصالح بن علي ، الشيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح ، المرجع السابق ، ص 108.
- 21 - ميموني رضا ، واخر ، البعد التعليمي في مسيرة الشيخ محمد الطاهر التليلي ، مجلة المعيار ، العدد 25 ، 2021 ، ص 134.